المآخذ الشعرية

قال نصيب في البرامكة وكان منقطعاً اليهم :

عند الملوك مضرّةٌ ومنافعٌ وأرى البرامك لا تضرُّ وتنفعُ
انَّ العروق اذا استمرَّ بها الثرى أبَّ النبات بها وطاب المزرعُ
فاذا جهلتَ من امرئٍ أعراقهُ وقديمهُ فانظر الى ما يصنعُ

فاخذ هذا البيت من قول مسلم الخاسر :

لا تسلِ المرء عن خلائقهِ في وجههِ شاهدٌ من الخبرِ

وقال نصيب ايضاً في سليمان بن علي :

بني سليم حرزتم كلَّ مكرمةٍ وليس فوقكمُ فخرٌ لمفتخرِ
لا تسأل المرء يوماً عن خلائقهِ في وجههِ شاهدٌ ينبيك عن خبرِ
حسب امرئٍ شرفاً ان ساد اسرتهُ وانت سدتَ جميع الجنِّ والبشرِ

وقال بعضهم عاقداً قول القائل : « سنَّة الهجر سنَّة وسنَّة الوصل سنة » :

انَّ الليالي للانام مناهلٌ تُطوى وتنشر دونها الاعمارُ
فقصارهنَّ مع الهموم طويلة وطوالهنَّ مع السرور قصارُ

وقال ابو السمود بهذا المعنى :

زمان تقضّى بالمسرة ساعةٌ وآنٌ تقضّى بالمساءة عامُ

وقال المتلمّس :

وحبس المال خيرٌ من تفادٍ وضربٍ في البلاد بغير زادِ
واصلاح القليل يزيد فيهِ ولا يبقى الكثير مع الفسادِ

وانشد ابو الاسود بمعناهُ :

يلومونني في البخل جهلاً وضلّةً وللبخلُ خيرٌ من سؤال بخيلِ

وقال الصاحب بن عباد :

رقَّ الزجاج وراقت الخمرُ فتشابها فتشاكل الامرُ
فكأنما خمرٌ ولا قدحٌ وكأنما قدحٌ ولا خمرُ

وقريب من هذا قول بعضهم :

وكأس قد شربناها بلطف ... تجال شرابنا فيها هواء
وزنّا الكأس فارغةً وملأى ... فكان الوزن بينهما سواء

وزاد عليه بعض المغاربة بقوله :

ثقلت زجاجات اتتنا فرّغاً ... حتى اذا ملئت بصرف الراح
خفت فكادت ان تطير بما حوت ... وكذا الجسوم تخف بالارواح

وقال آخر :

تريك القذى من دونها وهي دونهُ ... اذا ذاقها من ذاقها يتمطّقُ

وتابعهُ شاعر بقوله :

تحتي الزجاجة لونها فكأنها ... في الكف قائمة بغير اناء

وقال ابن الوردي :

ما الاغنياء الاغبيا حجةٌ ... وان هم عن حجا مالوا
نرضى بما بقسمهُ ربُّنا ... لنا علوم ولهم مالُ

وقال الآخر :

رضينا قسمة الجبار فينا ... لنا علم وللجهال مالُ
لأن المال يفنى عن قريب ... وان العلم ليس لهُ زوالُ

قال منصور بن بجرة المشهور بأبي هفّان : انشدني دعبل لنفسهِ :

وداعك مثل وداع الربيع ... وفقدك مثل افتقاد الديمْ
عليك سلام فكم من وفا ... أفارق منك وكم من كرمْ

فقلت لهُ : احسنت ولكن سرقت البيتين من معنيين الاول من قول القطامي :

ما للكواعب ودّعنَ الحياة كما ... ودعنني واتخذت الشيب ميعادي

والثاني من قول ابن بجرة :

نفدناك فقدان الربيع وليتنا ... فديناك من ريانا بألوفِ[1]

---

(١) قال ابن عبد ربه في العقد الفريد (٣ : ٣٧٢) كذا وردت الحكاية من غير وجه وكان يجب اذا كان من رويين ان يكون « فقدناك فقدان الربيع » لاجل الوليد وقد قال النمر بن تولب في قصر العمر :

يقرّب حب الموت آجالنا لنا ... وتكرهه آجالهم فتطولُ

فقال : بلى . والله سرق الطائي من ابن بحرة بيتاً كاملاً فقال :

عليك سلام الله وقفاً فاني رأيتُ الكريم الحرَّ ليس له عمرُ

وقال حسّان بن ثابت الانصاري :

ان التي ناولتني فرددتها قُتلتْ قتلتَ فهاتها لم تُقتَلِ

فاخذ معناهُ الشهاب الخفاجي بقوله :

قلت للندمان لمّا مزّقوا بُرد الدياجي
قتلتنا الراح صِرْفاً فاقتلوها بالمزاجِ

وقال منصور الفقيه النصيبي :

عاب الثقفيّ قوم لا عقول لهم وما عليهِ اذا عابوهُ من ضررِ
ما ضرَّ شمس الضحى والشمس طالعة ان لا يرى ضوءها من ليس ذا بصرِ

فاخذهُ ابو العلاء المعرّي وقال :

والنجم تستصغرُ الابصار صورتهُ والذنب للطرْف لا للنجم في الصغرِ

وقال اوس بن حجر :

الالمعيُّ الذي يظن بك الظنّ كأنْ قد رأى وقد سمعا

فتناهب هذا المعنى الشعراء فقال الناشئ :

كأنّ مكنون فهم الدهر في يدهِ يرى بهِ غائب الاشياء لم يغبرِ

وقال آخر :

أطلّ على الاشياء حتى كأنما لهُ من وراء الغيب مقلةُ شاهدِ

وقال ابو تمام :

اطلّ على كلا الافقين حتى كأن الارض في عينيهِ دارُ

وابن الرومي :

أحاط علماً بكل خافيةٍ كأنما الارضُ في يديهِ كُرَهْ

ومحمد بن وهيب :

عليم باعقاب الامور كأنما يخاطبهُ من كل امرٍ عواقبُهْ

وقال بعض شعراء بني عبدالله بن طاهر :

وقوفك تحت ظلال السيوف ... أقرّ الخلافة في دارها
كأنك مطّلعٌ في القلوب ... اذا ما تناجت باسرارها

وقال البحتري للفتح بن خاقان :

كأنك عين في القلوب بصيرةٌ ... ترى ما عليه مستقيمٌ ومائلُ

وقال في سليمان بن عبدالله بن طاهر :

ينال بالظن ما فات اليقين به ... اذا تلبّس دون الظنّ إيقانُ
كان آراءهُ والظن يجمعها ... تريه كلّ خفيٍّ وهو إعلانُ
ما غاب عن عينه فالقلب يذكرهُ ... وان تنم عينهُ فالقلب يقظانُ

وقال المتلمّس :

ولو غير اخوالي ارادوا نقيصتي ... جعلتُ لهم فوق العرانين ميسما
وهل كنتُ الاّ مثل قاطع كفّهِ ... بكفٍّ لهُ أخرى عليه تقدّما

فأخذهُ الآخر بقوله :

قومي هم قتلوا أميمَ أخي ... فلئن رميت بصيبتي سهمي
ولئن عفوتُ لاعفون جللاً ... ولئن جنيتُ لأوهنن عظمي

وقال ابو صخر الهذلي :

وينعني من بعد انكار ظلمها ... اذا ظلمت يوماً وان كان لي عذرُ
مخافة اني قد علمتُ لئن بدا ... لي الهجر منها ما على هجرها صبرُ
واني لا ادري اذا النفس اشرفت ... على هجرها ما يبلغنّ بيَ الهجرُ
فيا حبّها زدني جوى كل ليلةٍ ... ويا سلوة الاحزان موعدك الحشرُ

فقال المتنبي :

حبيتكَ قلبي قبل حبّكَ من نأى ... وقد كان غدّاراً فكن لي وافيا
واعلم ان البين يشكيك بعدها ... فلست فؤادي ان وجدتك شاكيا

وقال العباس بن الاحنف :

اروض على الهجران نفسي لعلّها ... تماسك في اسبابها حين اهجرُ

واعلم ان النفس تكذب وعدها اذا صدق الهجران يوماً وتعذرُ
وما عرضت لي نظرة مذ عرفتها فانظر الاَّ مُثِّلت حين انظرُ

وقال ابو عبدالله العتبي في ابن توفي صغيراً :

ان يكن مات صغيراً فالاسى غير صغيرِ
كان ريحاني فاسى وهو ريحان القبورِ
غرستهُ في بساتين البلى ايدي الدهورِ

فاخذ المعنى المتنبيُ بقولهِ :

فان تكُ في غير ذلك في حشى وان تكُ طفلاً فالاسى ليس بالطفلِ

وقال الفرزدق :

يمضي اخوك فلا تلقى لهُ خَلَفاً والمال بعد ذهاب المال مكتسبُ

وقال آخر يتابعهُ :

لكل شيءٍ عدمتهُ عوضٌ وما لفقد الصديق من عوضِ

قال الافوهُ الاودي وهو من مبتكراتهِ :

وأرى الطير على آثارنا رأي عين ثقة ان ستمارُ

وتداول هذا المعنى الشعراء بعدهُ فقال النابغة :

اذا ما غزوا بالجيش حلَّق فوقهم عصائب طيرٍ تهتدي بعصائبِ
جوانح قد ايقنَّ ان قبيلهُ اذا ما التقى الجمعان اول غالبِ

وقال ابو نوَّاس :

تأبَّى الطير غزوتهُ فهي تتلوهُ على أثرهْ
تحت ظلِّ الرمح تبعهُ ثقةً بالشبع من جزرهْ

وقال الطائي :

وقد ظلَّلت عقبان راياتهِ ضحًى بعقبان طيرٍ في الدماء تواهلِ
اقامت على الرايات حتى كأنها من الجيش الاَّ انها لم تقاتلِ

وقال المتنبي في جيش :

وذي لجبٍ لاذر الجناح امامهُ بناجٍ ولا الوحش المثار بسالمِ
تمرُّ عليهِ الشمس وهي ضعيفةٌ تظالعهُ من بين ريش القشاعمِ
اذا صورُها لاقى من الطير فرجةً تدوَّر فوق البيض مثل الدراهمِ

وقال شاعرٌ :

قالت الضفدع قولاً فسَّرتهُ الحكماء
في في ماءٍ رهل ينطق من فيهِ ماء

وقال الآخر :

اقول وستر الدجى مسبلٌ كما قال حيث شكا الضفدعُ
كلاميَ ان قلتهُ ضائعٌ وفي الصمتِ حتفي فما اصنعُ

وقال عروة بن أُذَيْنَة :

لا يبعد الله حسَّادي وزادهمُ حتى يموتوا بداءٍ غير مكتومِ
اني رأيتهمُ في كل منزلةٍ أجلَّ عندي من اللائي يحبُّوني

واخذهُ ابو حيَّان فقال :

عداي لهم فضلٌ عليَّ ومنَّةٌ فلا ابعد الرحمانُ عني الاعاديا
همُ بحثوا عن زلتي فاجتنبتها وهم نافسوني فاجتنبتُ المعاليا

وقال بشَّار بن برد :

انا الذي يجدوني في صدورهمِ لا أُرتقي صَدَراً عنها ولا أَرِدُ
لا ينقص الله حسَّادي فانهمَ اسرُّ عندي من اللائي لهُ الوَدَدُ
ان يحسدوني فاني غير لائمهم قبلي من الناس اهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهمُ ما بي وما بهمِ ومات اكثرنا غيظاً بما يجدُ

وقال ابو الفضل احمد بن يوسف الطبيّ في وصف عود الطرب :

من اين للعود هذا الصوت تأخذهُ اطرافهُ باطاريف الاناشيدِ
اظن حين نشا في الروح عيَّهُ سجع الحمائم ترجيع الاغاريدِ

وجاراهُ معاصرهُ الصفي الحلّي :

وعودٍ بهِ عاد السرور لأنهُ حوى اللهو قدماً وهو ريّان ناعمُ
يغرّب في تغريدهِ فكأنما يعيد لنا ما لقّنتهُ الحمائمُ

وتابعها بعض المتأخرين بقولهِ :

فاق كل الآلات بالحن عودٌ حين تعلو اصواتهُ وترنُّ
فكأنّ الحمام دهراً طويلاً علّمهُ ألحانها وهو غصنُ

وقال بشار بن برد :

وليس الذي يجري من العين ماؤها ولكنها روح تذوب فتقطرُ

فاخذهُ المتنبّي وحسّنهُ اذ قال :

اشاروا بتسليم فجدنا بأنفسٍ نسيل من الآماق والسمُّ ادمعُ

وتناولهُ سرور بن سنين شاعر بني سيفا حكام طرابلس الشام فقال :

تذكرتكم والعين تهمي دموعها واي دموع لم يهجها التذكّرُ
وليست كما ظنّ النبيُّ مدامعاً ولكنها نفس تذوب فتقطرُ

وقال ابن سناء الملك :

سمراء قد ازرت بكل اسمرٍ بلونها ولينها وقدّها
انفاسها دخانٌ ندّ خالها ورديقها من ماء ورد خدّها

وتابعهُ السيد محمد المرتضى الحلي بقولهِ :

على وجناتهِ خالٌ عليهِ تبدّت شعرةٌ زادتهُ لطفا
كقطعةِ عنبرٍ من فوق نارٍ بدا منها دخانٌ طاب عرفا

وقال العماري :

كأنما شعرة في خال وجنتهِ دخان قطعة ندٍّ تحتها نارُ

وقال بعضهم :

ان شأن المقصّ قطع وصالٍ فلهذا يضيع بين الجلوسِ
وترى الابرة التي تصل القطع بعزٍّ مغروسة في الرؤوسِ

فاخذهُ ابن يعقوب المالكي المدني مفاخراً بين الابرة والمقص بقولهِ :

فاخرت ابرة مقصًّا فقالت ... لي فضلٌ عليك بادٍ مسلَّمْ
شأنك القطع يا مقصُّ وشأني ... وصلُ قطعٍ شتَّان ان كنت تعلمْ

قال سعيد بن حميد :

أهاب واسمي وارقب وعدهُ ... فلا هو يدناني ولا أنا اسألُ
هو الشمس مجراها بعيد وضوؤها ... قريبٌ وقلبي بالبعيد موكَّلُ

فتداول هذا المعنى الشعراء وتابعوهُ فيهِ فقال ابو عيينة :

غزتني جيوش الحب من كل جانبٍ ... وان كان من جند قنول غزا جندُ
أقول لاصحابي هي الشمس ضوؤها ... قريبٌ ولكن في تناولها بُعدُ

وقال العبَّاس بن الاحنف :

هي الشمس مسكنها في السماء ... فمن ذا الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع اليها الصعودَ ... ولن تستطيع اليكَ النزولا

وقال البحتري :

دنوتَ تواضعاً وعلوتَ قدراً ... فشأناك انحدارٌ وارتفاعُ
كذاك الشمس تبعد ان تدانى ... ويدنو الضوء منها والشعاعُ

وقال ابن الرومي :

وذخرتهُ للدهر اعلم أنهُ ... كالدهر فيهِ لمن يؤول مآلُ
ورأيتهُ كالشمس ان هي لم تنل ... فالنور منها والضياء ينالُ

وقال المتنبي :

بيضاء تطلع في ما تحت حلتها ... وعزَّ ذلك مطلوباً لمن طلبا
كأنها الشمس يعيي كفَّ قابضها ... شعاعها وتراهُ العين مقتربا

وقال عمرو بن معدي كرب :

ما ان هلعت ولا جزعتُ ... ولا يردُّ بكائي زندا

وتابعهُ الآخر فقال :

وتجلدي للشامتين اريهم ... اني لريب الدهر لا اتضعضعُ

وقال الشيخ عمر بن الفارض :

ويحسن اظهار التجلد للعدى ويقبح غير العجز عند الاحبة

وقال مسلم بن الوليد :

واني لاستحيي القنوع ومذهبي فسيح واقلي الشحّ الاّ على عرضي
وما كان مثلي يعتريك رجاؤه ولكن اساءت نعمة من فتى محض
واني واسراني عليك بهمتي لكالمبتغي زُبداً من الماء بالمخض

فاخذه ابو عثمان الناجم بقوله :

لم تحصل بخضك الماء الاّ زَبَداً حين رمت بالجهل زُبدا

وقال طرفة بن العبد البكري :

فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع ودية تهمي

وقال ذو الرمة وأخذ عليه لانهُ تحرّز مما يؤول بدعائه لها بالسلامة :

ألا يا اسلمي يا دارمي على البلى ولا زال منهلاً بجرعائك القطرُ

وتداول الشعراء هذا المعنى فقال كشاجم :

يا مسديَ العرف إسراراً واعلانا ومتبع البرّ والاحسان احسانا
اقلع سحابك قد غرّقتني نعماً ما أدمن الغيث الاّ كان طوفانا

وهذا مولّد من قول ابي نواس :

لا تسدينّ اليّ عارفةً حتى اقوم بشكر ما سلفا

وقال البحتري :

ألمّ جوداً ولم تضرر سحائبهُ وربما ضرّ فوق الحاجة المطرُ
مواهب لا تجشمنا السؤال بها ان السؤال قليبٌ ليس يحتفرُ

عيسى اسكندر المعلوف